وقد آمن عمرو بن العاص ، وعكرمة بن أبى جهل وغيرهم . ومن هؤلاء الذين نَجَوْا كان خالد بن الوليد سيف الله المسلول .

﴿ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ (٦١) ﴾ [النحل]

أى : إذا جاءت النهاية فلا تُؤخَّر ، وهذا شىء معقول ، ولكن كيف : ولا يستقدمون ؟ إذا جاء الأجل كيف لا يستقدمون ؟ المسألة - إذن - ممتنعة مستحيلة .. كيف إذا جاء الأجل يكون قد أتى قبل ذلك ؟ .. هذا لا يستقيم ، لكن يستقيم المعنى تماماً على أن :

﴿ وَلا يَسْتَقْدِمُونَ (٦١) ﴾ [النحل]

ليست من جواب إذا ، بل تم الجواب عند (ساعة) ، فيكون المعنى : إذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ، وإذا لم يجىء لا يستقدمون . والله أعلم .

ثم يقول الحق سبحانه :

﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَىٰ لَا جَرَمَ[1] أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ (٦٢) ﴾

قوله تعالى :

﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ .. (٦٢) ﴾ [النحل]

(١) لا جرم : لا محالة ولا بُدَّ وتحولت إلى معنى القسم ، فصارت بمنزلة قولنا « حقاً » . [القاموس القويم ١/١٢١] .

الأليق أن الذى يُخرج لله يجب أن يكون من أطيب ما أعطاه الله ، فإذا أردت أن تتصدقَ تصدَّقْ بأحسن ما عندك ، أو على الأقل من أوسط ما عندك .. لكن أنْ تتصدَّق بأخسِّ الأشياء وأرذلها .. أن تتصدق مما تكرهه ، كالذى يتصدق بخبز غير جيد أوْ لحم تغيَّر ، أو ملابس مُهلْهَلة ، فهذا يجعل لله ما يكره[1] .

والحقيقة أن الناس إذا وثقوا بجزاء الله على ما يعطيه العبد لأعطَوْا ربهم أفضل ما يُحبونَ .. لماذا ؟ لأن ذلك دليلٌ على حبِّك للآخرة ، وأنك من أهلها ، فأنت تعمرها بما تحب ، أما صاحب الدنيا المحبّ لها فيعطى أقل ما عنده ؛ لأن الدنيا فى نظره أهمّ من الآخرة .

وبهذا يستطيع الإنسان أنْ يقيسَ نفسه : أهو من أهل الآخرة ، أم من أهل الدنيا بما يعطى لله عز وجل ؟

قوله تعالى :

﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ .. (٦٢) ﴾ [النحل]

أى : مما ذكر فى الآيات السابقة من قولهم :

﴿ لِلَّهِ الْبَنَاتِ .. (٥٧) ﴾ [النحل]

وأن الملائكة بنات الله ، وجعلوا بينه وبين الجنَّة نسباً ، إلى غير ذلك من أقوالهم ، وجعلوا لله البنات وهم يكرهون البنات ؛ لذلك :

﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ (٥٨) ﴾ [النحل]

والمسألة هنا ليستْ مسألة جَعْل البنات لله ، بل مُطْلق الجَعْل

---

(١) يقول تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِآخِذِيهِ إِلَّا أَن تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ (٢٦٧) ﴾ [البقرة] .

منهم مردود عليهم ، فلو جعلوا لله ما يحبون من الذكْران ما تُقبَل منهم أيضاً ؛ لأنهم جعلوا لله ما لم يجعل لنفسه .

فالذين قالوا : عزير ابن الله . والذين قالوا : المسيح ابن الله . لا يُقبَل منهم ؛ لأنهم جْعلوا لله سبحانه ما لم يجعلْه لنفسه ، فهذا مرفوض ، وذلك مرفوض ؛ لأننا لا نجعل لله إلا ما جعله الله لنفسه سبحانه .

فنحن نجعل لله ما نحب مما أباح الله ، كما جاء في قوله تعالى :

﴿ لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ .. (٩٢) ﴾ [آل عمران]

وقوله :

﴿ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ .. (٨) ﴾ [الإنسان]

ولذلك قال الحق سبحانه لرسوله ﷺ :

﴿ قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَـٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ (٨١) ﴾ [الزخرف]

فلو كان له ولد لآمنتُ بذلك ، لكن الحقيقة أنه ليس له ولد .. إذن : ليست المسألة في جَعْل ما يكرهون لله بل في مُطْلَق الجعْل ، ذلك لأننا عبيد نتقرَّب إلى الله بالعبادة ، والعابد يتقرَّب إلى المعبود بما يحب المعبود أن يتقرّب به إليه ، فلو جعل الله لنفسه شيئاً فهو على العين والرأس ، كما في أمره أن ننفق مما نُحب ، ومن أجود ما نملك .

ولذلك قوله تعالى :

﴿ لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ .. (٩٢) ﴾ [آل عمران]

رَاعِ حق الفقير وضرورة أنْ تجعله كنفسك ، لا يكُنْ هيِّناً عليك فتعطيه أردأ ما عندك .. والحق تبارك وتعالى لما أراد أن نتقرّب إليه بالنّسُك وذَبْح الهَدْى والأضاحى قال :

﴿ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الحج]

لأنك إذا علمتَ أنك ستأكل منها سوف تختار أجود ما عندك .

وقوله تعالى :

﴿ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ .. ﴿٦٢﴾ ﴾ [النحل]

الكذب : قضية ينطق بها اللسان ليس لها واقع فى الوجود ، أى مخالفة للواقع المشهود به من القلب .. ولماذا يشهد عليه القلب ؟

قالوا : لأنه قد يطابق الكلام الواقع ، ونحكم عليه مع ذلك بالكذب ، كما جاء فى قوله تعالى :

﴿ إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴿١﴾ ﴾ [المنافقون]

بالله ، أهذه القضية صدْق أم لا ؟ إنها قضية صادقة .. أنت رسول الله وقد وافق كلامهم ما يعلمه الله .. فلماذا شهد عليهم الحق تبارك وتعالى أنهم (كاذبون) ؟

وفى أىِّ شىء هم كاذبون ؟

قالوا : الحقيقة أنهم صادقون فى قولهم : إنك لرسول الله ، ولكنهم كذبوا فى شهادتهم :

﴿ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ .. ۝١ ﴾ [المنافقون]

لأنهم لا يشهدون فعلاً ؛ لأن الشهادة تحتاج أنْ يُواطىءَ القلبُ اللسانَ ويسانده ، وهذه الشهادة منهم من اللسان فقط لا يساندها القلب .

الإنسان عُرْضة لأنْ يقول الصدق مرة والكذب مرة ، لكن هؤلاء بمجرد أن يقولوا (نشهد) فهم كاذبون ، وهذا معنى :

﴿ تَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ .. ۝٦٢ ﴾ [النحل]

لأنهم حينما يقولون مثلاً : العزير ابن الله ، المسيح ابن الله ، الملائكة بنات الله . هذه كلها قضايا باطلة ليس لها واقع يوافق منطوق اللسان .. فألسنتهم تصف الكذب .

وإنْ أردتَ أن تعرف الكذب الذى لا يطابق الواقع فاستمع إليه فبمجرد أنْ يُقال تعلم أنه كذب .. مثل ما حدث مع مُسيْلمة الذى ادَّعى النبوة ، مجرد أنْ قال : أنا نبى قلنا : مسيلمة الكذاب .

ويقول الحق سبحانه :

﴿ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَىٰ .. ۝٦٢ ﴾ [النحل]

أى : أن الكذب فى قولهم (لهم الحسنى) فهذا اغترار وتمنٍّ على الله دون حق ، ومثل هذه المقولة فى سورة الكهف ، فى قصة أصحاب الجنتين ، يقول تعالى :

﴿ وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِ أَبَدًا ۝٣٥ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ۝٣٦ ﴾

[الكهف]

فهذه مقولات ثلاث كاذبة .

قوله :.

﴿مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِ أَبَدًا ﴿٣٥﴾﴾ [الكهف]

هذه الأولى ، فكم من أشياء تغيَّرت ، ومَنْ يضمن لك بقاء ما أنت فيه ، والحق تبارك وتعالى يقول فى آية أخرى :

﴿إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا[1] مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَثْنُونَ ﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ[2] ﴿٢٠﴾﴾ [القلم]

الكذبة الثانية :

﴿وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً .. ﴿٣٦﴾﴾ [الكهف]

فقد أنكر الساعة .

الكذبة الثالثة :

﴿وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾﴾ [الكهف]

وهذا هو الشاهد فى الآية هنا ، ففيها اغترار وتمنٍّ على الله دون حقٍّ ، كمن ادعوْا أن لهم الحسنى ، وهم ليسوا أهلاً لها .

وفى موضع آخر تأتى نفس المقولة :

---

(١) الصَّرم : القطع مادياً ، كقطع الثمار . ويكون القطع معنوياً بمعنى الهجر وقطع صلة المودة . [القاموس القويم ١/٣٧٥] .

(٢) أى : احترقت فصارت سوداء مثل الليل . وقيل : الصريم أرض سوداء لا تنبت شيئاً . [لسان العرب ـ مادة : صرم] .

﴿ لا يَسْأَمُ الإِنسَانُ مِن دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ الشَّرُّ فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ (٤٩) وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَـٰذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّ لِي عِندَهُ لَلْحُسْنَىٰ .. (٥٠) ﴾ [فصلت]

وهكذا الإنسان في طَبْعه أنه لا يسأم من طلب الخير ، وكلما وصل فيه إلى مرتبة تمنَّى أعلى منها ، يقنط إنْ مسَّه شر ، وإنْ رفع الله عنه ورحمه قال : هذا لي .. أنا أستحقه ، وأنا جدير به .. ألاَ قلتَ : هذا فضل من الله ونعمة ، ثم بعد ذلك هو يتمنى على الله الأماني ويقول :

﴿ إِنَّ لِي عِندَهُ لَلْحُسْنَىٰ .. (٥٠) ﴾ [فصلت]

ويُرْوى أن سيدنا داود - عليه السلام - مع ما أعطاه الله من الملْك والعظمة أنه صعد يوماً سطح منزله ، فابتلاه الله بسِرْب من الجراد الذهب ، فحينما رآه داود جعل يجمع منه في ثوبه ، فقال له ربه : ألم أُغْنك يا داود ؟ قال : نعم ولكن لا غِنَى لي عن فضلك[1] .

وقوله تعالى :

﴿ لا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ .. (٦٢) ﴾ [النحل]

لا جرم : أي حقاً أن لهم النار على ما تقدم منهم أن جعلوا لله ما يكرهون ، وتصف ألسنتهم الكذب ، وهذه أفعال يستحقّون النار عليها .

وكلمة ﴿ لاَ جَرَمَ ﴾ منها جارم بمعنى مجرم ، فالمعنى : لا جريمة في عقاب هؤلاء ، لأنه لا يُقال على عقوبة الجريمة أنها

---

(١) أورده البخاري في صحيحه (٩٧٢) ، وأحمد في مسنده (٤١٣/٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، ولكن في حق أيوب عليه السلام وليس داود . والله أعلم .

جريمة .. إذن : لها معنيان ، لا بُدّ أن لهم النار ، أو لا جريمة فى أن لهم النار جزاء أعمالهم .

﴿وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ (٦٢)﴾ [النحل]

جاءت فى كلمة مُفْرطون عدة قراءات[1] : مفرَطون ، مفرِطون ، مفرِّطون ، مفرَّطون . وجميعها تلتقى فى المعنى .

نحن حينما نصلى على جنازة مثلاً ، إذا كان الميت مكلّفاً نقول فى الدعاء له : « اللهم اغفر له ، اللهم ارحمه .. اللهم إنْ كان مُحسناً فزِدْ فى إحسانه ، وإنْ كان مُسيئاً فتجاوز عن سيئاته » . فإنْ كان صغيراً غير مُكلَّف قُلْنا فى الدعاء له « اللهم اجعله فرَطاً وذخراً »[2] . فما معنى فرَطاً هنا ؟

معناه : أن يكون الطفل فَرَطاً لأبويه ومُقدّمة لهما إلى الجنة .. يمرُّ بين يدىْ والديْه ويسبقهما إلى الجنة ، وكأنه يقدم عليهما ليُمهد لهما الطريق ليغفر الله لهما .. إذن : معنى مُفْرطون أى مُقدَّمون . ولكن إلى النار .

---

(١) قراءة (مُفْرَطون) : قراءة أبى عبيدة والكسائى والفراء ، وهو قول سعيد بن جبير ومجاهد ، ومعناه : متروكون منسيون فى النار .
– قراءة (مفرِطون) : قراءة نافع فى رواية ورش ، وهى قراءة ابن مسعود وابن عباس ، ومعناه : مسرفون فى الذنوب والمعصية أى : أفرطوا فيها .
– قراءة (مفرِّطون) : قراءة أبى جعفر القارىء . أى : مضيعون أمر الله ، فهو من التفريط فى الواجب . [ذكره القرطبى فى تفسيره ٣٨٤٦/٥] .

(٢) أورد البخارى فى صحيحه (٢٠٣/٣ – فتح البارى) كتاب الجنائز – باب قراءة فاتحة الكتاب على الجنازة من قول الحسن البصرى : « يقرأ على الطفل بفاتحة الكتاب ، ويقول : اللهم اجعله لنا فرطاً وسلفاً وأجراً » .

ومنه قوله تعالى عن فرعون :

﴿ يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ .. (٩٨) ﴾ [هود]

أى : يتقدمهم إلى النار .. كما كنتَ مُقدَّماً عليهم ، وإماماً لهم فى الدنيا ، فسوف تتقدمهم هنا وتسبقهم إلى النار .

﴿ تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٦٣) ﴾

نعلم أن الحق سبحانه وتعالى يُقسِم بما يشاء على ما يشاء ، أما نحن فلا نقسم إلا بالله ، وفى الحديث الشريف : « مَنْ كان حالفاً ، فليحلف بالله أو ليصمت »(١) .

والحق تبارك وتعالى هنا يحلف بذاته سبحانه ﴿ تَاللَّهِ ﴾ ، مثل : والله وبالله .

وقد جاء القسم لتأكيد المعنى ؛ ولذلك يقول أحد الصالحين : من أغضب الكريم حتى ألجأه أن يقسم ؟!

وقد يؤكد الحق سبحانه القسم بذاته ، أو القسم ببعض خَلْقه ، وقد ينفى القسم وهو يُقسِم ، كما فى قوله تعالى :

﴿ لا أُقْسِمُ بِهَـٰذَا الْبَلَدِ (١) ﴾ [البلد]

(١) أخرجه مسلم فى صحيحه (١٦٤٦) كتاب الأيمان - رواية (٣) عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما عن رسول الله ﷺ أنه أدرك عمر بن الخطاب فى ركب وعمر يحلف بأبيه ، فناداهم رسول الله ﷺ : « ألا إن الله عز وجل ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم ، فمن كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت » .

وقوله : ﴿ فَلا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ (٧٥) وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ (٧٦) ﴾ [الواقعة]

ومعنى : لا أقسم أن هذا الأمر واضح جَلِىّ وضوحاً لا يحتاج إلى القسم ، ولو كنت مُقسماً لأقسمتُ به ، بدليل قوله :

﴿ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ (٧٦) ﴾ [الواقعة]

إذن : الحق سبحانه يُقسم بذاته ليؤكد لنا الأمر تأكيداً ، وتأكيد الأمر عند الحكم فى القضاء مثلاً : إما بالإقرار ، وإما باليمين .. فإذا ما أقسمت له وحلفتَ فقد سددْتَ عليه منافذ التكذيب .

والحق سبحانه يقول :

﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ .. (٦٣) ﴾ [النحل]

أى : لستَ بِدْعاً فى أنْ تُكذَّب من قومك ، فهذه طبيعة الذين يستقبلون الدعوة من الله على ألسنة الرسل ؛ لأن الرسل لا يرسلهم الله إلا حينما يطمّ الفساد ويعُم .

ومعنى إرسال الرسل ـ إذن ـ أنه لا حَلَّ إلا أنْ تتدخلَ السماء ؛ ذلك لأن الإنسان فيه مناعات يقينية فى ذاته ، وهى نفسه اللوامة التى تلومه إذا أخطأ وتُعدِّل من سلوكه ، فهى رادع له من نفسه .

فإذا ما تبلَّدتْ هذه النفس ، وتعوَّدتْ على الخطأ قام المجتمع من حولها بهذه المهمة ، فمَنْ لا تُردعه نفسه اللوامة يُردعه المجتمع من حوله .. فإذا ما فسدَ المجتمع أيضاً ، فماذا يكون الحل ؟ الحل أن تتدخل السماء لإنقاذ هؤلاء .

إذن : تتدخل السماء بإرسال الرسل حينما يعُمّ الفسادُ المجتمعَ

كله ؛ ولذلك فأمة محمد ﷺ من شرفها عند ربها أنْ قال لهم : أنتم مأمونون على رعاية منهجي في ذواتكم ، لوَّامون لأنفسكم ، آمرون بالمعروف ، ناهون عن المنكر في غيركم ؛ لذلك لن أرسل فيكم رسولاً آخر ، فأنتم سوف تقومون بهذه المهمة .

لذلك قال الحق سبحانه :

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ .. (١١٠) ﴾ [آل عمران]

فقد أمن أمة محمد ﷺ على أن تكون حارسة لمنهجه ، إما بالنفس اللوامة ، وإما بالمجتمع الآمر بالمعروف الناهي عن المنكر ، وهذا شرف عظيم لهذه الأمة .

إذن : يأتي الرسول حينما يعُمُّ الفساد .. فما معنى الفساد ؟ .. الفساد : أن تُوجد مصالح طائفة على حساب طائفة أخرى ، فأهل الفساد والمنتفعون به إذا جاءهم رسول ليُخلِّص الناس من فسادهم ، كيف يقابلونه ؟ أيقابلونه بالترحاب ؟ بالطبع لا .. لا بُدَّ وأن يقابلوه بالكراهية والإنكار ، ويعلنوا عليه الحرب دفاعاً عن مصالحهم .

ويُتبع الحق سبحانه هذا بقوله :

﴿ فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ .. (٦٣) ﴾ [النحل]

هنا يتدخل الشيطان ، ويُزيِّن لأهل الفساد أعمالهم ، ويحثُّهم على محاربة الرسل ؛ فهؤلاء الذين سيقضون على نفوذكم ، سوف يأخذون ما في أيديكم من مُتَع الدنيا ، سوف يهزُّون مراكزكم ،

ويحطُّون من مكانتكم بين الناس .. هؤلاء سوف يرفعون عليكم السَّفْلَة[1] والعبيد ..

وهكذا يتمسَّك أهل الفساد والظلم بظلمهم ، ويعضون عليه بالنواجذ ، ويقفون من الرسل موقف العداء ، فوطِّنْ نفسك على هذا ، فلن تُقابلَ من السادة إلا بالجحود وبالإنكار وبالمحاربة .

ثم يقول تعالى :

﴿ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ .. (٦٣) ﴾ [النحل]

أى : فى الآخرة ، فما دام الشيطان تولاَّهم فى الدنيا ، وزيَّن لهم ، وأغراهم بعداء الرسل ، فَلْيتولَّهم الآن ، وليدافع عنهم يوم القيامة .. وقد عرض لنا القرآن الكريم هذا الموقف فى قوله تعالى :

﴿ كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلإِنسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ (١٦) ﴾ [الحشر]

وفى جدالهم يوم القيامة مع الشيطان يقولون له : أنت أغويتَنا وزيَّنْتَ لنا .. ماذا يقول ؟ يقول :

﴿ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلاَّ أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُم .. (٢٢) ﴾ [إبراهيم]

والسلطان هنا : إمَّا بالحجة التى تُقنع ، وإما بالقهر والغلبة والقوة التى تفرض ما تريد ، وليس للشيطان شىء من ذلك .. لا يملك حُجة يُقنعك بها لتفعل ، ولا يملك قوة يُجبركَ بها أنْ تفعل وأنت كاره .

---

(١) السفلة : نقيض العلْية . وهم أراذل الناس وغوغاؤهم . [لسان العرب ـ مادة : سفل] .

وهكذا يجادلهم الشيطان ويردُّ عليهم دعواهم ، فليس له عليكم سلطان ، بل مجرد الإشارة أوقعتْكم فى المعصية .

وفى آية أخرى يقول الحق سبحانه :

﴿ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ[1] عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكُمْ إِنِّي أَرَىٰ مَا لا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ.. (٤٨) ﴾ [الأنفال]

وقوله :

﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٦٣) ﴾ [النحل]

يَصف العذاب هنا بأنه أليم شديد مُهلك ، وقد وصف الله العذاب بأنه أليم ، عظيم ، مُهين ، شديد .. والعذاب شعور بالألم وإحساسٌ به ، وقد توصّل العلماء إلى أن الإحساس كله فى الجلد ؛ لذلك قال الحق سبحانه ليُديمَ على هؤلاء العذاب :

﴿ كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ (٥٦) ﴾ [النساء]

وهكذا يستمر العذاب باستمرار الجلود وتبديلها .

ثم يقول الحق سبحانه :

﴿ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٦٤) ﴾

(١) نكص : رجع وأحجم بعد إقدام . أى : رجع الشيطان متقهقراً إلى الوراء معلناً براءته من المشركين فى بدر بعد أن أغراهم بالقتال . [القاموس القويم ٢/٢٨٧] .

فالكتاب هو القرآن الكريم .

وقَوْل الحق سبحانه :

﴿ لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِى اخْتَلَفُوا فِيهِ .. ﴿٦٤﴾ ﴾ [النحل]

دليل على أن أتباع الرسل السابقين نشأ بينهم خلاف ، فأىُّ خلاف هذا طالما أنهم تابعون لنبى واحد ؟ ما سببه ؟

قالوا : سبب هذا الخلاف ما يُسمُّونه بالسلطة الزمنية .. ولتوضيح معنى السلطة الزمنية نضرب مثلاً بواحد كان شيخاً لطريقة مثلاً ، فلما مات تنازع الخلافة أبناؤه من بعده .. كُلٌّ يريدها له ، وأخذ يجمع حوله مجموعة من أتباع أبيه .. فلو كانت مسألة الخلافة هذه واضحة فى أذهانهم ما حدث هذا الخلاف .

وكذلك السلطة الزمنية حدثت فى أتباع الرسل الذين أخذوا يكتبون الصكوك ، ويذكرون ما يحبون وما يرونه صواباً من وجهة نظرهم ، كل هؤلاء كان لهم نفوذ بما نُسميه السلطة الزمنية .

فكيف - إذن - يتركون محمداً ﷺ يأخذ منهم هذه السلطة ، ويُضيع عليهم ما هم فيه من سيادة ، فقد جاء الرسول ﷺ لِيُبيِّن لهم . أى : يردّهم إلى جادّة الحق ، وإلى الطريق المستقيم .

وقوله تعالى :

﴿ وَهُدًى وَرَحْمَةً .. ﴿٦٤﴾ ﴾ [النحل]

الهدى : معناه بيان الطريق الواضح للغاية النافعة ، والطريق

لا يكون واضحاً إلا إذا خَلا من الصِّعاب والعقبات ، وخلا أيضاً من المخاوف ، فهو طريق واضح مأمون سهل ، وأيضاً يكون قصيراً يُوصّلك إلى غايتك من أقصر الطرق .

وضد الهدى : الضلال . وهو أنْ يُضلّك ، فإنْ أردتَ طريقاً وجَّهك إلى غيره ، ودلّك على سواه ، أو دلّك على طريق به مخاوف وعقبات .

أما الرحمة ، فقد وصف الحق تبارك وتعالى القرآن بأنه رحمة فقال :

﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ .. (٨٢) ﴾ [الإسراء]

فكيف يكون القرآن شفاءً ؟ وكيف يكون رحمة ؟

الشفاء : إذا أصابنا داء ربنا سبحانه وتعالى يقول : طيِّبوا داءكم وداووا أمراضكم بكذا وكذا ، وردُّوا الحكم إلى الله .. هذا شفاء .

أما الرحمة : فهى أن يمنع أن يأتى الداء مرة أخرى ، فتكون وقاية تقتلع الداء من أصله فلا يعود .

ومثل هذا يحدث فى عالم الطب ، فقد تذهب إلى طبيب ليُعالجك من داء معين .. بثور فى الجلد مثلاً ، فلا يهتم إلا بما يراه ظاهراً ، ويصف لك ما يداوى هذه البثور .. ثم بعد ذلك تُعاودك مرة أخرى .

أما الطبيب الحاذق الماهر فلا ينظر إلى الظاهر فقط ، بل يبحث عن سببه فى الباطن ، ويحاول أن يقتلع أسباب المرض من جذورها ، فلا تُعاودك مرة أخرى .

ولذلك ، لو نظرنا إلى قصة أيوب ـ عليه السلام ـ وما ابتلاه الله به نرى فيها مثالاً رائعاً لعلاج الظاهر والباطن معاً ، فقد ابتلاه ربُّه ببلاء ظهر أثره على جسمه واضحاً ، ولما أذن له سبحانه بالشفاء قال له :

﴿ ارْكُضْ(١) بِرِجْلِكَ هَـٰذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾ ﴾ [ص]

(مُغْتَسَلٌ) : أى . يغسل ويُزيل ما عندك من آثار هذا البلاء .

(وَشَرَابٌ) : أى . شراب يشفيك من أسباب هذا البلاء فلا يعود .

وكذلك الحال فى علاج المجتمع ، فقد جاء القرآن الكريم وفى العالَم فساد كبير ، وداءاتٌ متعددة ، لا بُدَّ لها من منهج لشفاء هذه الداءات ، ثم نعطيها مناعات تمنع عودة هذه الداءات مرة أخرى .

وقوله تعالى :

﴿ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [النحل]

أى : أن هذا القرآن فيه هدى ورحمة لمَنْ آمن بك وبرسالتك ؛ لأن الطبيب الذى ضربناه مثلاً هنا لا يعالج كل مريض ، بل يعالج مَنْ وثق به ، وذهب إليه وعرض عليه نفسه ففحصه الطبيب وعرف علّته .

وهكذا القرآن الكريم يسمعه المؤمن به ، فيكون له هدًى ورحمة ،

---

(١) الركض : الضرب بالرجل وتحريكها . قال تعالى : ﴿ ارْكُضْ بِرِجْلِكَ .. ﴿٤٢﴾ ﴾ [ص] أى : اضرب بها . [لسان العرب ـ مادة : ركض ، والقاموس القويم ١/٢٧٥] .

ويترك فى نفسه إشراقات نورانية تتسامى به وترتفع إلى أعلى الدرجات ، فى حين يسمعه آخر فلا يَعى منه شيئاً ، ويقول كما حكى القرآن الكريم :

﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰ إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِندِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا (١٦) ﴾ [محمد]

وقال : ﴿ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ .. (٤٤) ﴾ [فصلت]

﴿ وَالَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ(١) وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى .. (٤٤) ﴾ [فصلت]

إذن : فالقرآن واحد ، ولكن الاستقبال مختلف .

ثم يقول الحق سبحانه :

﴿ وَاللَّهُ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ (٦٥) ﴾

الحق تبارك وتعالى فى هذه الآية ينقلنا إلى آية مادية مُحسّة لا ينكرها أحد ، وهى إنزال المطر من السماء ، وإحياء الأرض الميتة بهذا المطر ؛ ليكون ذلك دليلاً محسوساً على قدرته تعالى ، وأنه مأمون على خَلْقه .

وكأنه سبحانه يقول لهم : إذا كنتُ أنا أعطيكم كذا وكذا ، وأوفّر لكم الأمر المادى الذى يفيد عنايتى بكم ، فإذا أنزلتُ لكم منهجاً ينفعكم ويُصلح أحوالكم فصدّقوه .

---

(١) الوقر : ثقل فى السمع أو صمم . [القاموس القويم ٢/٣٥٠] ومعناه فى الآية أنهم لا يفهمون ما فيه كأن فى آذانهم صمماً أو ثقلاً فى السمع . [انظر ابن كثير ٤/١٠٣] .

فهذا دليل مادىّ مُحَسّ يُوصِّلهم إلى تصديق المنهج المعنوى الذى جاء على يد الرسول ﷺ فى قوله تعالى :

﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ .. ﴿٨٢﴾ ﴾ [الإسراء]

وقوله : ﴿ وَاللَّهُ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً .. ﴿٦٥﴾ ﴾ [النحل]

هذه آية كونية مُحسَّة لا ينكرها أحد .

ثم يقول : ﴿ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴿٦٥﴾ ﴾ [النحل]

موت الأرض ، أى حالة كَوْنها جدباء مُقفرة لا زرعَ فيها ولا نبات ، وهذا هو الهلاك بعينه بالنسبة لهم ، فإذا ما أجدبتْ الأرض استشرفوا لسحابة ، لغمامة ، وانتظروا منها المطر الذى يُحيى هذه الأرض الميتة .. يُحييها بالنبات والعُشْب بعد أنْ كانت هامدة ميتة .

فلو قبض ماء السماء عن الأرض لَمُتُّمْ جوعاً ، فخذوا من هذه الآية المحسَّة دليلاً على صدق الآية المعنوية التى هى منهج الله إليكم على يد رسوله ﷺ ، فكما أمنْتَنى على الأولى فأْمَنِّى على الثانية .

وقوله : ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [النحل]

مع أن هذه الآية تُرَى بالعين ولا تُسْمع ، قال القرآن :

﴿ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [النحل]

.. لماذا ؟

قالوا : لأن الله سبحانه أتى بهذه الآية ليلْفتَهم إلى المنهج الذى سيأتيهم على يد الرسول ﷺ ، وهذا المنهج سيُسمع من الرسول المبلِّغ لمنهج الله .

ومثال ذلك أيضاً فى قوله تعالى :

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا(١) إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ (٧١)﴾ [القصص]

فالضياء يُرى لا يُسمع .. لكنه قال : ﴿ أَفَلَا تَسْمَعُونَ﴾ لأنه يتكلم عن الليل ، ووسيلة الإدراك فى الليل هى السمع .

ثم يقول الحق تبارك وتعالى :

﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِ مِن بَيْنِ فَرْثٍ(٢) وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِّلشَّارِبِينَ (٦٦)﴾

الكون الذى خلقه الله تعالى فيه أجناس متعددة ، أدناها الجماد المتمثل فى الأرض والجبال والمياه وغيرها ، ثم النبات ، ثم الحيوان ، ثم الإنسان .

وفى الآية السابقة أعطانا الحق - تبارك وتعالى - نموذجاً للجماد الذى اهتزَّ بالمطر وأعطانا النبات ، وهنا تنقلنا هذه الآية إلى جنس أعلى وهو الحيوان .

﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً ..(٦٦)﴾ [النحل]

---

(١) السرمد : دوام الزمان من ليل أو نهار . والسرمد : الدائم الذى لا ينقطع . [لسان العرب - مادة : سرمد] .

(٢) الفرث : ما فى الكرش من طعام مهضوم متغير كريه الرائحة . [القاموس القويم ٢/ ٧٤] .

المقصود بالأنعام : الإبل والبقر والغنم والماعز ، وقد ذُكرتْ فى سورة الأنعام فى قوله تعالى :

﴿ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِّنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الأُنثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الأُنثَيَيْنِ نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (١٤٣) وَمِنَ الإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ ..(١٤٤)﴾ [الأنعام]

هذه هى الأنعام .

وقوله سبحانه : ﴿لَعِبْرَةً﴾ العِبْرة : الشىء الذى تعتبرون به ، وتستنتجون منه ما يدلكم على قدرة الصانع الحكيم سبحانه وتعالى ، وتأخذون من هذه الأشياء دليلاً على صِدْق منهجه سبحانه فتصدقونه .

ومن معانى العبرة : العبور والانتقال من شىء لآخر .. أى : أن تأخذ من شىء عبرة تفيد فى شىء آخر . ومنها العَبْرة (الدمعة) ، وهى : شىء دفين نبهْتَ عنه وأظهرتَهُ .

والمراد بالعبرة فى خلق الأنعام :

﴿نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِ مِن بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِّلشَّارِبِينَ (٦٦)﴾ [النحل]

مادة : سقى جاءت فى القرآن مرة « سقَىٰ » . ومرة « أَسْقَى » ، وبعضهم[1] قال : إن معناهما واحد ، ولكن التحقيق أن لكل منهما

(١) من هؤلاء ابن منظور فى لسان العرب ـ مادة : سقى . قال : وفى القرآن : ﴿وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا .. (٤٩)﴾ [الفرقان] من سقى . ونُسقيه من أسْقى . وهما لغتان بمعنى واحد .

معنًى ، وإن اتفقا في المعنى العام[1]

سقى : كما في قوله تعالى :

﴿ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾ ﴾ [الإنسان]

أي : أعطاهم ما يشربونه .. ومضارعه يَسقى . ومنها قوله تعالى في قصة موسى عليه السلام :

﴿ فَسَقَىٰ لَهُمَا .. ﴿٢٤﴾ ﴾ [القصص]

أما أسقى : كما في قوله تعالى :

﴿ فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الحجر]

فمعناه أنه سبحانه أنزل الماء من السماء لا يشربه الناس في حال نزوله ، ولكن ليكون في الأرض لمن أراد أنْ يشربَ .. فالحق تبارك وتعالى لم يفتح أفواه الناس أثناء نزول المطر ليشربوا منه .. لا .. بل هو مخزون في الأرض لمن أراده . والمضارع من أسْقى : يُسقى .

إذن : هناك فَرْق بين الكلمتين ، وإن اتفقتا في المعنى العام .. وفرْق بين أن تُعطى ما يُستفَادُ منه في سَاعته ، مثل قوله :

﴿ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ .. ﴿٢١﴾ ﴾ [الإنسان]

وبين أنْ تعطى ما يمكن الاستفادة منه فيما بعد كما في قوله :

---

(١) قاله الفراء فيما نقله عنه ابن منظور في اللسان : العرب تقول لكل ما كان من بطون الأنعام ومن السماء أو نهر يجري لقوم « أسقيت » ، فإذا سقاك ماء لشفتك قالوا « سقاه » ، ولم يقولوا : أسقاه . [لسان العرب ـ مادة : سقى] .

﴿فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ ..(٢٢)﴾ [الحجر]

لذلك يقولون : إن الذى يصنع الخير قد يصنعه عاجلاً ، فيعطى المحتاج مثلاً رغيفاً يأكله ، وقد يصنعه مُؤجّلاً فيعطيه ما يساعده على الكسْب الدائم ليأكل هو متى يشاء من كسْبه .

والحق ـ تبارك وتعالى ـ أعطانا هذه الفكرة فى سورة الكهف ، فى قصة ذى القرنين ، قال تعالى :

﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا (٩٣)﴾ [الكهف]

فما داموا لا يفقهون قَوْلاً .. فكيف تفاهم معهم ذو القرنين ، وكيف قالوا :

﴿يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا[1] عَلَىٰ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا (٩٤)﴾ [الكهف]

نقول : الذى يريد أن يفعل الخير والمعروف يسعى إليه ويحتال للوصول إليه وكأنه احتال أنْ يفهمهم ، وصبر عليهم حتى توصّل إلى طريقة للتفاهم معهم ، فى حين أنه كان قادراً على ترْكهم والانصراف عنهم ، وحُجّته أنهم لا يفقهون ولا يتكلمون .

فلما أراد ذو القرنين أن يبنى لهم السد لم يَبْنِ هو بنفسه ، بل علّمهم كيف يكون البناء ، حتى يقوموا به بأنفسهم متى أرادوا ، ولا يحتاجون إليه .. فقال :

---

(١) الخَرْج والخراج : ما يخرجه صاحب المال للعامل عنده من الأجر جزاء عمله أو ما يُخرجه من الزكاة للإمام . [القاموس القويم ١/١٨٩] .

﴿آتُونِي زُبَرَ(١) الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا (٩٦)﴾ [الكهف]

إذن : علَّمهم وأحسن إليهم إحساناً دائماً لا ينتهى .

وقوله : ﴿مِّمَّا فِي بُطُونِهِ ..(٦٦)﴾ [النحل]

أى : مما فى بطون الأنعام ، فقد ذكَّر الضمير فى (بطونه) باعتبار إرادة الجنس .

وقد أراد الحق سبحانه أن يخرج هذا اللبن :

﴿مِن بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا ..(٦٦)﴾ [النحل]

والفَرْث فى كرش الحيوان من فضلات طعامه .

فالعبرة هنا أن الله تعالى أعطانا من بين الفَرْث ، وهو رَوَثُ الأنعام وبقايا الطعام فى كرشها ، وهذا له رائحة كريهة ، وشكل قذر مُنفِّر ، ومن بين دم ، والدم له لونه الأحمر ، وهو أيضاً غير مُستْساغ ؛ ومنهما يُخرِج لنا الخالق سبحانه لبناً خالصاً من الشوائب نقياً سليماً من لون الدم ورائحة الفَرْث .

ومَنْ يقدر على ذلك إلا الخالق سبحانه ؟

وينْهى الحق سبحانه الآية بقوله واصفاً هذا اللبن :

﴿لَّبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِّلشَّارِبِينَ (٦٦)﴾ [النحل]

---

(١) زُبر الحديد : قطعه . الصدفان : الجبلان وقيل : ما بينهما . أى : وضع بعضه على بعضه من الأساس حتى إذا حاذى به رءوس الجبلين طولاً وعرضاً قال انفخوا . والقطر : النحاس المذاب . [قاله فى تفسير ابن كثير ٣/ ١٠٤] .